التَّوْظِيْفُ الْقُرْآنِيُّ وَإِنْتَاجُ مَشَاهِدِ الْعُبُوْدِيَّةِ فِي دُعَاءِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) يَوْمَ عَرَفَةَ (دِرَاسَةٌ تَحْلِيْلِيَّةٌ فِي الْمُنْتَجِ النَّصِّيِّ)

Quranic Appropriation and the Production of Servitude Scenes in Imam Hussain's (pbuh) Supplication of Arafa: An Analytical Study of the Textual Product

أ .م.د. زيد عبد الحسين يوسف
Prof.Ass. Dr. Zaid abdul-Hussien Yousuf

العراق / جامعة جابر بن حيان للعلوم الطّبّيّة/ كلية الطب .
Iraq /Jaber Ibn Hayyan University of Medical Sciences/ Faculty of Medicine.

Zaid.iq83@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

تنحدر الدّراسة من إيمان الباحث بوجوب أنْ تشكِّلَ البحوث العلميّة والأكاديميّة المرتكزات الأساسيّة لحلّ المشكلات الّتي تعتري الدّراسات جميعًا، وتضع المعالجات والحلول لها، بعد المكابدة والحفر والنّقش فيها، أو لتحديد ظاهرة معيّنة ودراسة إرهاصات نموّها والأسباب الّتي أنتجتها؛ ومن هذا المنطلق ونحن نتعامل مع نصّ أبدعه ركن وثيق من أركان البيت النّبويّ -الإمام الحسين (عليه السلام)- الّذي لا ننتظر من نصّه سوى الأثر القرآنيّ المبرز فيه، والمشكّل الواجهة العظمى فيه؛ لاعتبارات عدّة؛ أهمّها: أنّه نصّ متّفق على إعجازه وجماله، وذاتها قضايا متّفق عليها، ونالتها أيدي الباحثين الّذين سبقونا، ولكن البحث يمّم وجهه نحو مقصدٍ آخرَ، وشطر متباين عن المطروح المعروض، ينحصر مضمونه في الإجابة عن تساؤل محدّد: هل التّوظيف القرآنيّ جاء تلبية لغايات جماليّة ومعنويّة وتقريب للدّلالات؟ أم هل هناك غايات أخرى مستترة في دهاليز البنية النّصّيّة للدّعاء؟ إذ لا يصعب على ربيب المهد القرآنيّ أنْ يحاكيَ النّصّ المعجز؛ ومهمّتنا تكمن في السّير الوئيد حتّى الولوج في سطور الدّعاء والمكوث عندها، وبعد وقفات للباحث مع سرد الآيات القرآنيّة في نصّ الدّعاء -المباشرة وغير المباشرة- لمح سياسة عند مبدعِهِ تشترك في إنتاج اتّجاه معيّن وتنميته؛ منحصرة في نشر معالم العبوديّة وروحها، مع تأطير أركانها بطريقة التّصوير الفوتوغرافيّ لمشاهدها، وكأنَّه يميل إلى رسم لوحة معيّنة

من إنتاج ريشته الذّهنيّة والبصائريّة لهذه الصّورة، ناسخًا طرائقَ القرآن الكريم في رسم المشاهد المتعددة المبثوثة فيه، نحو مشاهد يوم القيامة ونحوها؛ فالإمام الحسين(عليه السلام) جمع هذه الآيات لكي يطوّعها في مرادها ومراميها، ويسوقها سياقة لمضامينه المقصودة، حتّى بانت صورة العبوديّة كاملة ومكتملة من دون أيّ تصريح ظاهر؛ فالقارئ يستنشق عبيرها عند جمع شتاتها؛ ممّا ولّد الحاجة إلى دراسة المشاهد العبوديّة النّاتجة عن التّوظيف القرآنيّ بالتّحليل والتّفكيك، ثمّ إعادة بنائها من جديد؛ لكي تبرزَ مشاهد العبوديّة للقارئ بجلاء.

الكلمات المفتاحية: دعاء يوم عرفة، الإمام الحسين، النّصّ، المضامين، المعاني.

"Servitude" (’Ubudiyyah). The Imam frames the pillars of servitude using a vivid، photographic-like depiction، painting a mental and spiritual portrait that emulates the Quranic method of "artistic representation" (al-taswir al-fanni)، such as the scenes of the Day of Resurrection.

Imam Hussain (pbuh) synthesized these verses to align with his intended aims، steering them toward a comprehensive and complete manifestation of servitude without explicit declaration. The reader perceives this essence only by synthesizing the scattered textual elements. Consequently، this study necessitates an analytical deconstruction of these servitude scenes—produced through Quranic appropriation—followed by a reconstruction to render them clearly manifest to the reader.

Keywords: Supplication of the Day of Arafah، Imam Hussein، text، themes، meanings.

Abstract:

This study stems from the researcher's conviction that academic inquiry must serve as the primary foundation for addressing complexities in all types of studies، either by offering analytical solutions or by examining specific phenomena and their developmental catalysts. Dealing with a text authored by a pillar of the Prophetic Household—Imam Hussain (pbuh)—one inherently expects a profound Quranic influence that forms its grand aesthetic and structural facade. While the miraculous nature and beauty of this supplication are well-established in previous scholarship، this research pivots toward a different objective، seeking to answer a specific question: Was the Quranic appropriation merely intended for aesthetic purposes and semantic approximation، or are there latent objectives embedded within the textual corridors of the supplication?

As a figure nurtured within the Quranic cradle، Imam Hussain (pbuh) possesses the unique capacity to mirror the miraculous text. By meticulously analyzing the direct and indirect Quranic citations within the supplication، the researcher identifies a deliberate strategy aimed at cultivating a specific orientation: the dissemination of the landmarks and spirit of

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وعلى آل بيته الطّيبين الطّاهرين.

لا يريد الباحث الإسهاب في الحديث عن الإمام الحسين (عليه السلام) الّذي ينصبُّ العمل البحثيّ بحقّ منتَجه الدّعائيّ، بوصفه شخصيّة أعلى الله تعالى مقامَها في قرآنه؛ فما تعمل كلمات الباحث القاصرة بإظهاره؛ فقد طهّره الله تعالى وأكمل خلقه واصطفاه، فالبحث الأكاديميّ العلميّ يلزمه الابتعاد عن توثيق الموثوق، أو إعادة المكرّر، وعندئذٍ فالتّركيز في ربط نصّ الدّعاء بذات الإمام الحسين (عليه السلام) كونه معصومًا وملهمًا من الله تعالى، أو اللّجوء إلى ربطه بسيّد البلغاء والمتكلّمين أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، أو جدّه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفصح العرب القائل: ((أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش))[1]؛ لذا يجب أنْ نتعاملَ مع النّصّ بما هو نصّ لغويّ أدبيّ واقف على استدعاءات قرآنيّة قالها المنشئ، ولنا الحقّ في استنطاقه وقراءته بما تجود به العبارات والصّياغات اللّغويّة والتّركيبيّة الجمليّة، ذات الأسلوب النّمطيّ الموجَّه نحو خدمة إيصال المعاني والمعارف الّتي تقف من وراء إنشاء نصّ الدّعاء.

وبزغت فكرة الدّراسة بَدءًا من إشكاليّة إطلاق لفظة الدّعاء عليه، والقارئ سيلحظ فارقًا بين التّسمية بالدّعاء والمضامين الّتي اكتنفها النّصّ المائلة إلى التّضرّع أو الابتهال أو المناجاة؛ فالدّعاء يرتبط بالطّلب على المستوى الخاصّ أو العامّ؛ على حين؛ النّصُّ المدروس (دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة) تشكَّلَ من إظهار التّذلّل والخشوع والتّضرّع لذات الله تعالى والافتقار إليه؛ وهذه المعاني ألّــفت مِساحة واسعة وعريضة منه، فلو قلنا إنّ هذه الطّرائق استعملها المنشئ من أجل المقدّمات، لما صحّ؛ لأنّها عُدَّت السّياسة الأسلوبيّة لأغلب الفقرات، الّتي فارقت الطّلب على المستويين الخاصّ والعامّ، إلّا على شيء ضيّق، ما دفع بالباحث أنْ يجدَ العلّة في إطلاق لفظة الدّعاء على النّصّ من دون المناجاة أو التّضرّع أو التّذلّل، وعندئذٍ يحقّق الباحث في دراسته احتماليّة صنع الإمام للنّصّ الدّعائيّ وسيلةً تُدخِله مع أهل العبودية لله؛ فقد أشار برسالة خفيّة إلى أنّ الخير كلّه بقَبوله عبدًا لله، ويدخله في حضرته، وهو أكبر منال يحصل عليه الإنسان، فتوظيف النّصّ الحامل اسم الدّعاء و رؤيته؛ لكنّه حمل طلبًا واحدًا وهمًّا فريدًا في إنتاج مِساحة العبوديّة لله تعالى، وعيّنة الهدف الرّئيس من الدّراسة.

ومن أقرب الدّراسات الأكاديميّة لدراستنا: القرآنيّة في دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) في يوم عرفة للباحثة م.م. سناء علي حسين الحمداني، الّتي مالت في ربط

أغلب الاتّجاهات الدّراسيّة بالمقامات السّامية لأهل البيت عليهم السّلام، وقدّمت منجزًا علميًّا، مركّزة في التّناصّ وعمله في النّصّ الدّعائيّ، على الرّغم من أنّ التّناصّ وآثاره سُلِّطت عليه دراسات متعدّدة، فضلًا عن ذلك ماذا ننتظر من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) إلّا وقد استوعب القرآن الكريم في ألفاظه ومعانية؟ اذ لا غرابة من التّناصّ بين إنتاجات الإمام والقرآن الكريم، أمّا الدّراسة الأخرى المعنونة: من خفايا دعاء عرفة للإمام الحسين (عليه السلام) للباحثة أمل لعيبي خشجوري، الّتي مالت في دراستها إلى شرح المفردات وبيان المضامين، من دون الاعتماد على مناهجَ تحليليّةٍ؛ إذ اعتمدت على الدّعاء بيئةً لاستخراج النّماذج النّحويّة، أمّا الدّراسة المعنونة: التّوابع في دعاء عرفة للإمام الحسين (عليه السلام) دراسة نحويّة دلاليّة للدكتور حيدر جاسم جابر الدّنيناوي؛ فقد ركّز الباحث في ورود التّوابع في نصّ الدّعاء مع بيان المضامين الّتي أفادتها التّوابع، والأمر ذاته في الدّراسة المعنونة القرينة الصّوتيّة وأثرها الدّلاليّ دراسة في دعاء عرفة للدكتور سعيد عكاب عبدالعالي؛ فالملحوظ في كلتا الدّراستينِ أنّ الاهتمام منصبٌّ على المباحث اللّغويّة أكبر من الغوص في المضامين الكامنة في النّصّ.

أمّا دراستنا فقد قسّمها الباحث إلى تمهيد؛ يعقبه مبحثان وخاتمة وقائمة للمصادر، حمل التّمهيد عنوان: دعاء الإمام الحسين (عليه السلام)يوم عرفة قراءة

أخرى؛ فقد وجّه الباحثُ التّمهيدَ نحو تجنيس التّمهيد والقطع إلى أيّ حقل أدبيّ سرديّ ينتمي، الّذي سيوصل القارئ إلى جنس النّصّ، أمّا المبحث الأوّل المعنون: علاقة التّوظيف القرآنيّ بمشاهد العبوديّة؛ فجاء لبيان حقيقة العلاقة الجدليّة بينهما؛ أيْ: لِمَ كثّف خالق النّصّ من الاستدعاء القرآنيّ ومعانيه، على الرّغم من كونها قضيّة وجدانيّة يعبّر العبد عن حاله أمام بارئه؟ أمّا المبحث الثّاني فاختصّ بدراسة العلامات السّيميائيّة الواردة في النّصّ المدروس المعنون سيميائيّة المشهد العبوديّ؛ فهذه العلامات السّيميائيّة كأنَّ لها الدّور في سحب القارئ من يده إلى الدّخول في الحضرة المباركة لأهل العبوديّة حتّى يجدَ نفسه شاخصًا وواقفًا في هذه السّاحة المباركة.

التّمهيد: **دعاء الإمام الحسين** (عليه السلام) **يوم عرفة قراءة أخرى**.

قبل الدّخول إلى التّمهيد، يودّ الباحثُ الإشارةَ إلى عمليّة التّعاطي مع نصّ دعاء يوم عرفة، الّتي تنطلق من رؤية ترتكز على التّجرّد من مقامات قائل النّصّ الإمام (عليه السلام) بوصفه معصومًا، ولا يجوز عليه الخطأ والسّهو والنّسيان[٢]، وسنعيش مع النّصّ على أنّه منجز سرديّ أبدعه صاحبه ينتمي إلى القرن الهجريّ الأوّل؛ لكي نتوصّلَ إلى معانٍ متعدّدة تفصح عن كيفيّة تلقّي سامعه، ثمّ قارئه عبر العصور، فلو تعاملنا معه بالمرجعيّات الدّينيّة والخلفيّات العقائديّة، لزم تحديد مِساحة الدّراسة، بأنَّ القائل إمام معصوم مسدّد من الله تعالى بقدرات أعلى من بني البشر[٣]، وبذلك تقـلّ معها فضيلة القائل؛ لأنَّ الحسن والجمال سيكون موكل إلى القدرات الّتي أعطاها الله تعالى له دون غيره، في مقابل سائر العباد الّذين لم يزوّدهم هذه القدراتِ الأدائيّة؛ لذا أجد التّعامل مع النّصّ المرويّ من نقطة الصّفر؛ ممّا يولّد حال من عدم تضييق نطاق البحث في النّصّ، مع إبقاء روح الحرّيّة العلميّة، وذاته يوفّر مناخات ناجحة للبحث العلميّ، فيجزم الباحث بعصمة الإمام بأفعاله وأحقّيّة قوله، ولكن من أجل تفكيك النّصّ، وإعادة بنائه، نبتعد عن المقامات الدّينيّة لأجل البحثيّ الدّراسيّ.

ومن هنا آثر الباحث أنْ يبدأَ تمهيده بقراءة النّصّ المدروس قراءة جديدة،

ويتساءل عن جنسه الأدبيّ، ولأيّ حقل سرديّ ينتمي، أدعاء هو أم مناجاة أم نوع آخرُ؟؛ لِمَا وجده من تباين بين التّعريف اللّغويّ والاصطلاحيّ للدّعاء،[٤] وما ضمّه دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفه من معانٍ نصّيّة،[٥] فالدّعاء يحتوي طلبًا على المستوى الشّخصيّ أو على مستوى الأمّة، كما نجده في دعاء الأنبياء الوارد في القرآن الكريم،[٦] إذ لم نجد مضامينه واضحة في النّصّ المدروس في يوم عرفة، فلا الإمام تضرّع طالبًا لدنيًا، أو طالبًا الفوز بالجنّة؛ فضلًا عن ذلك لو رفعنا كلمة الدّعاء منه، وأسميناها مناجاة الإمام، أو تضرّعه أو ابتهاله يوم عرفة لكانت صالحة أيضًا؛ فالتّضرّع من ((تفعل من الضّراعة وهو الذّلّ أيّ تذلّلًا وتملّقًا))[٧] والدّعاء هو: ((استدعاء العبد من ربّه العناية وطلب المعونة وحقيقة إظهار الافتقار إليه))[٨] ((والمناجاة تأخذ في أغلبها حديث الإنسان مع نفسه))[٩].

فكيّـف الباحثُ التّمهيدَ للإجابة عن هذه الإشكاليّة، مع الجمع بين المضامين الواردة في النّصّ مع التّعريفات الاصطلاحيّة للدّعاء.

ويرصد الباحث أنّ سياسة المنشئ في خلط الدّعاء والتّضرّع والمناجاة من أجل شدّ السّامع إلى أساسيّاتها، المنحصرة في إعطاء الأهمّيّة لما يقال لا إلى من يقول، حتّى يجعلَ الإمام المرجعيّة القوليّة والمعياريّة في الصّواب والخطأ للقرآن الكريم، الّتي أجرى الآيات القرآنيّة ومضامينها في نصّه من أجل القطع

الّذي يقابل الشّكّ؛ فيحصل على ترسيخ فكرة مرجعيّة القرآن الكريم لكلّ متكلّم، وقد يوازيه ما تقدّم غرض آخر يضمّ مبدأ دعوة الرّجوع إلى الله تعالى، بعدما أصاب المجتمع الإسلاميّ تراجعًا لصالح الجاهليّة ومضامينها؛ فأراد من التّوظيف إحداث صدمة عن طريق الفنّ القوليّ؛ فالعلاقة بين المسلمين وبارئهم أصابها النّكوص بفعل السّياسة الأمويّة،[10] فالإمام الحسين (عليه السلام) بوصفه ربيب البيت النّبويّ أراد أنْ يحملَ النّاس إلى المنهل الطّيّب، وإرجاع هيبة أيّام الله تعالى -الحجّ- بفضائه الزّمانيّ والمكانيّ، بمضامينه الحقيقة المذكّرة بوحدانيّة الله تعالى وتفرّده في خلقه؛ وهذا يسوّغ لنا عدم ظهور سياسة الطّلب، وقضاء الحوائج الدّنيويّة والأُخرويّة، بل كثّف كلّ همّته الأدائيّة إلى إبانة جلالة الله تعالى، وعظمة الخالق بعدما شاهده من المجتمع، ولعلّ النّصّ يدعو إلى التّأمّل بوصفه وثيقة تأريخيّة فاصحة عن مستوى ابتعاد المجتمع عن الله جلّ جلاله، حتّى عوّض الإمام قلّة الانثيال نحو البارئ بتوظيف أغلب مقاطع النّصّ لذكر الله تعالى وآلائه وصفاته، بطريقة مؤثّرة داعية السّامعين في الأخذ بها؛ لأنَّها تؤلّف العلاقة بين العبد و ربّه، ولا ريب أنَّ الفنون القوليّة ((وسيلة للحفز إلى المعالي وحثّ لتحقيق القيم الرّفيعة))[11] ولا نغادر الحقيقة بالقول: إنَّ الإمام بنصّه لفت الأنظار إلى حتميّة التّوظيف القرآنيّ في الفنّ القوليّ؛ لحداثة معارفه ودقائق تفاصيله، حتّى يصل إلى مرحلة التّقدّم في إنتاج المعارف العلميّة، ومصدرًا للتّفسير والتّأويل، وإيضاحه للأمّة جاء بطريقة الدّعاء، كي

يعلّمَهم المديات المختزلة بهذا التّوظيف، وهو الّذي جرّنا إلى هذا الاعتقاد الكمّيّة العالية من الاستشهادات القرآنيّة الّتي لا نغالي بالقول: إنَّه تحشيدٌ عالٍ للنّماذج القرآنيّة بحيث غدت شخصيّة الإمام الحسين (عليه السلام) مندكّة في هذا التّوظيف؛ فهذه الطّريقة الأسلوبيّة أبانت ما يريده الإمام الحسين (عليه السلام) من إمضاء أغلب الفقرات بالألفاظ القرآنيّة ليصبح ترجمانًا لها، وعدم تركها للوضّاعين الّذين يحرّفون الكلم عن مواضعه.

ولا يغيب التّنويه إلى التّحشيد العالي للتّوظيف القرآنيّ في النّصّ الّذي طلبه الإمام لإثباته للأُمّة وللسّامعين، أنَّ ما يريده هو ما يريده القرآن الكريم الّذي يشترك بمضامينه مع الجميع؛ فضلًا عن البناء اللّغويّ والتّراكيب الجُمليّة المؤثّرة، ولعلّ تكريس النّمط القرآنيّ أرسل دعوة مفادها التّركيز في القول القرآنيّ مضامينَ وتركيبًا بخطّين متوازيين، بعدما شاهد عودة الأساليب القوليّة الجاهليّة الّتي أطلّت برأسها من جديد، تعبيرًا قوليًّا وأداءً بنيويًّا للنّصوص، وما في الهجاء في العصر الّذي تلى استشهاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما تلاه من فنّ النّقائض وغيرها الّذي انحدر المستوى القوليّ فيه عن روح الإسلام، حتّى سمعنا الآراء الّتي نظّرت إلى أنَّ الإسلام جعل القول الشّعريّ العربيّ يضعف ويلين،[١٢] فإنَّ نصّ الإمام الحسين (عليه السلام) أضحى ردًّا، ودعوةً في تمثيل القرآن الكريم بألفاظه ومعانيه.

ومن الجدير بالإشارة إلى اعتقاد الباحث في مخالفته المنهجيّة للدّراسات السّابقة، الّتي مالت إلى دراسة دعاء يوم عرفة بوصفه تناصًّا قرآنيًّا أو تعالقًا نصّيًّا معه؛[١٣] فالإمام اعتمد القرآن الكريم بمعانيه ومفاهيمه، وجلبها إلى دعائه، فهل هناك فضيلة للدّعاء أعلى من القرآن الكريم؟، فكان الأولى بالقارئ أنْ يكتفيَ بقراءة القرآن الكريم؛ لأنّ جمال الأداء الّذي سينتجه الإمام الحسين (عليه السلام) هو أقلّ من النّسج القرآنيّ وقيمته الفنّيّة، ولو تأمّلنا في كلام (جوليا كريستفيا) الّتي انطلق منها دراسة التّناصّ في العصر الحديث، الّتي ترى أنّ هناك هدمًا وإلغاءً لنصّ قديم والمجيء بنصٍّ آخرَ على إطلال النّصّ الغائب، ((وتصف كريستيفا التّناصّ بأنّه قانون جوهريّ؛ إذ هي نصوص تتمّ صناعتها عبر امتصاص وفى الوقت نفسه هدم النّصوص الأخرى للفضاء المتداخل نصّيًّا))[١٤] على حين تجربتنا مع دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن كذلك، وإنّما جاءت تزيّنًا للنّصّ، وتوكيدًا للمعنى، وتشريفًا له؛ إذ لا وجود لنصّ غائب، بحيث يبرز النّصّ الغائب من أوّل قراءة للنّصّ، فأين غيابه؟ فضلًا عن ذلك لو عرضنا تساؤلًا على القائلين الدّارسين والثّابتين روح التّناصّ القرآنيّ، ونقول لهم: إنّ هذا استدعاء أو توظيف أو اقتباس قرآنيّ غير مباشر، فماذا سيقولون لنا سوى أنّها تداخل بالمصطلحات، لكن في الحقيقة أنَّ التّناصّ شيء آخر، وأغلب الظّنّ في جريان الدّراسات على إطلاق العبارات التّناصّيّة الحديثة على

أيّ منتج حديث، قد ولّدت سهولة حمل كلّ تشابه، أو تقارب لفظيّ، أو دلاليّ بين لاحق وسابق بأنَّه تناصّ، وذاتها مجازفة علميّة لا بدّ من الوقف عليها، ولكنّ الدّارسين العرب عندما أطلقوه على النّماذج الحديثة تساهلوا في تأكيد العلاقات التّناصّيّة، على الرّغم من وجود حدوده المقرّة.

المبحث الأوّل: **جدليّة العلاقة بين التّوظيف القرآنيّ ومشاهد العبوديّة**.

ترسخت المشاهد القرآنيّة الّتي أنتجت صور العبوديّة في عقول المسلمين وقلوبهم، إكرامًا للكتاب المقدّس، ولكونه أصدق الكلم، ولاقتران النّجاة بالتّمسّك بما ورد فيه[١٥]، وعلاوة على ما تقدّم، فلا نعدم الصّواب بالقول: إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) في تركيزه في سحب المشاهد القرآنيّة لم تكن غايته الجمال الأدبيّ والفنّيّ كما ذهب الباحثون لفوائد التّوظيف بقولهم: إنّ التّوظيف القرآنيّ له ((هدف أدبيّ جماليّ حيث إنَّ أسلوب القرآن الكريم هو الأسلوب الأمثل للّغة العربيّة، واتّخاذ بعض صوره وأساليبه نموذجًا يضاف للصياغة الأدبيّة؛ ممّا يكسبها رونقًا وجمالًا))[١٦] بل أراد غايات أخرى، منها: إذكاء الاتّجاه القائل بالتمسك به فعلًا وقولًا ومنهجًا في القضايا ذات المِساس الدّينيّ، المتّصل بعلاقة العبد مع ربّه، الذي ((يجعل التواصل بين القارئ والكاتب تواصلًا خلّاقًا لما يجمع بينهما من رصيد زاخر بتقديس القرآن الكريم والتأثر بمعانيه العظيمة))،[١٧]وبتوظيفه تُحدَّد ممارسات العبوديّة ووسائلها وأشكالها، وألّا

يعتريها الانفلات المؤدّي إلى التيه في مسيرتها الإنسانية مع تقلّبات العصور والأزمان، وبذلك يمسك زمام قيادتها، والاطمئنان من عدم الانجرار خلف الموروثات الثّقافيّة، والعادات والتقاليد الّتي تحلّ محلّ الثابت المتجذر، وتصبح بديلًا عن شريعة الإسلام والقرآن الكريم، وكأنّ توظيفه (عليه السلام) المبرز في بنية النّصّ مقصود، على أنّه رسالة موجّهة إلى القارئ بالابتعاد عن العلاقة بين العبد وربّه الأسيرة للأهواء والأمزجة، وهو النّاظر إلى مدّ البصيرة للمستقبل واستشرافه، الّذي يخشى من الانجرار الأعمى خلف التوهّمات النّفسيّة، والمعطيات الشّيطانيّة، فما دامت العبوديّة أمر محكوم بين طرفين العبد وربّه، فيلزم أنْ نعبدَه كما أراد هو لا كما نريد نحن؛ وهذا يلزم ضبط إيقاع العبوديّة لله دون تدخّل الإفرازات ذات البُعد البشريّ، نحو الحركات والسّكنات والأقاويل النّاتجة من أذواق المتعبّدين النّاسكين التي لم ينزل الله تعالى بها حجّة أو رأي.

فالتّوظيف القرآنيّ بنصّ الدّعاء أبان أمرين مهمّين؛ الأوّل: أنّ المضامين الدّينيّة ومنها العبوديّة، بما تتضمّنه من أفعال وأقوال وحركات؛ لها مرجعيّتها الخاصّة المحدّدة؛ وهي مرجعيّة القرآن الكريم، الّذي لم يصمت عن رسم الأطر العامّة لهذه التّجارب الدّينيّة، ذات السّمة المرتبطة بالعقلنة، المبتعدة عن الطّقوسيّة المبتدعة، ((ويبدو المنجز الدّعائيّ حريصًا على توسّم كلّ ذلك

وبوضوح شديد، حتّى ليكاد الدّعاء ومنه دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) موضع البحث متناصًّا مع القرآن الكريم في كلّ لفظة من ألفاظه، وبكلّ تركيب من تركيباته، بل في مقاصده ومعانيه العامّة))[١٨] الثّاني: الفصل القسريّ روحًا وفكرًا بين العبوديّة ومظاهرها، والاعتياد على فعل محدّد جرت عليه عادة النّاس، حتّى غدا قالبًا تسير عليه الأمّة بالتّقليد والاتّباع، من دون أيّ إحالة للسّماء وتعاليمها، بل الإيمان به بوصفه أفعالًا تراثيّة تلبّي طموحات بشريّة، فينقلب من ذكر الله تعالى إلى التّلبيات النّفسيّة، المجبولة عليها بكيفيّاتها المحدّدة، على حين أفاد التّوظيف الرّاسم لمشاهد العبوديّة لله بأنّها حالة إسلاميّة، مسوّرة بأطواق التّعاليم الإلهيّة، حتّى لا يصيبها البلى مع تقادم الأيّام، ولا تتحوّل إلى عمليّة تفريغ لشحنات نفسيّة يؤدّيها القائمون، كما يفعل في يومنا أهل الطّقوس من الهندوس وغيرهم.

وقد مهّد منتج النّصّ – الإمام الحسين (عليه السلام) في دعائه في يوم عرفة لهذه الدّلالات، الّتي توضح أسباب المسلك الّذي انتهجه من التّوظيف القرآنيّ في صناعة المسرح المكتمل لمشاهد وقوف العبد أمام ربّه؛ فالعبوديّة الّتي عرضها إنّما هي عبوديّة معتدلة، ليس فيها تطرّف، أو جلد الذّات؛ فهي منسجمة والإسلام، إنْ لم نعثر على رهبنة مبتدعة، أو تفنّن بعيد في الأفعال والأقوال، أو الدّعوة إلى نبذ العقل السّويّ وتعطيله، أو إطلاق العنان للعواطف والهواجس النّفسية لإنتاج نموذج يتلاءم والمقاسات البشريّة.

لذا يُعَدّ مشروع الإمام الحسين (عليه السلام) ترسيخًا لفكرة الاعتماد على النّصّ القرآنيّ بتوظيف طاقاته الإيحائيّة والإشعاعيّة في ألفاظه؛ لِمَا تملكه من رسوخ ذهنيّ عند القارئ أو السّامع؛ ((لأنَّ النّصّ يستمدّ قوته وسلطته من خلال تأثيره في المتلقّين له، ويتأتّى ذلك من خلال ارتباط النّصّ بالموروث الأدبيّ والثّقافيّ والنّفسيّ لأولئك المتلقّين والمتحقّق بفعل التفاعل، والتداخل بين النّصوص السّابقة واللّاحقة))،[١٩] بحيث ترسل كلّ آية علامة تحكي مشهدًا لسلوكيّات العابد لله تعالى؛ فالآيات لا تخلو من الطّاقة الإرشاديّة نحو معانٍ مقصودة، وإنْ تغايرت مع التوظيف الأصليّ لها في النّصّ القرآنيّ؛ فقد يوظّفها المنشئ في نصّه بطريقة دالّة على معانٍ أُخَر؛ فـــ((يجوز للمقتبس أنْ يحتفظَ بالنّصّ القرآنيّ، أو ينقلَه إلى معنًى آخر، كما يجوز له أنْ يغيِّرَ في الألفاظ المقتبسة تغييرًا يسيرًا، وما من ريب أنَّ الألفاظ المقتبسة تزيد الكلام قوّةً وبلاغة وتضفي عليه حسنًا وجمالًا؛ فضلًا على ما تعطيه تلك الألفاظ من معانٍ تقرِّب الفكرة وتوصل إلى الغاية الّتي اقتبس القائل لأجلها النّصّ))؛[٢٠] فقد تُعبّد الطّريق للمتلقّي الّذي ينظر بدهاء وذكاء، نحو التقاط معانٍ مبثوثة في مجريات الأداء اللّفظيّ، بحيث تجسّد المعاني المجردة، والأفكار المبثوثة في القوالب القرآنيّة أمامه في حركات وتموّجات، تعيش معه وتنمو وكأنَّها رديفة مع المعاني اللّفظيّة المسموعة المتخيّلة، وذلك ((قابليّتها المستمرّة لإعادة التّشكيل والصّياغة من جديد)) [٢١].

وإنْ أردنا أنْ نتّجهَ نحو التطبيقات العمليّة في صناعة مشاهد العبوديّة، يمكن أنْ نسحبَ مشهد الضّعف والتذلّل والاستصغار الذي قدّمه الإمام الحسين (عليه السلام) أمام عظمة ربّه؛ فقد عمد إلى مشهد جرى في القرآن الكريم بوصفه أخبارًا عن خلق الإنسان، إلّا أنَّ طاقاته الإشعاعيّة الدّلاليّة والمضمونيّة ساعدته على استثمارها من أخبار معيّن في حقل دلاليّ مخصّص، إلى مشهد يرسم العلاقة بين العابد ومعبوده، وهو مشهد التّصاغر والضّعف؛ فيقول (عليه السلام): ((ابْتَدَأْتَنِي بِنِعْمَتِكَ قَبْلَ أَنْ أَكُونَ شَيْئًا مَذْكُورًا، وَخَلَقْتَنِي مِنَ التُّرَابِ، ثُمَّ أَسْكَنْتَنِي الْأَصْلَابَ آمِنًا لِرَيْبِ الْمَنُونِ، وَ اخْتِلَافِ الدُّهُورِ، فَلَمْ أَزَلْ ظَاعِنًا مِنْ صُلْبٍ إِلَى رَحِمٍ، فِي تَقَادُمِ الْأَيَّامِ الْمَاضِيَةِ وَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، لَمْ تُخْرِجْنِي لِرَأْفَتِكَ بِي، وَ لُطْفِكَ لِي، وَإِحْسَانِكَ إِلَيَّ، فِي دَوْلَةِ أَيَّامِ الْكَفَرَةِ، الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَكَ، وَكَذَّبُوا رُسُلَكَ، لَكِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي رَأْفَةً مِنْكَ، وَتَحَنُّنًا عَلَيَّ، لِلَّذِي سَبَقَ لِي مِنَ الْهُدَى الَّذِي يَسَّرْتَنِي وَفِيهِ أَنْشَأْتَنِي، وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ رَؤُفْتَ بِي بِجَمِيلِ صُنْعِكَ، وَسَوَابِغِ نِعْمَتِكَ))،[٢٢] في هذا النّصّ يسحب منشئه مجموعة آيات قرعت مسامع القارئ واستوعبها لبّه؛ منها: قول الله تعالى في خلق الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٢٣] فالقارئ يقع أمامه

مشهد حقيقيّ يعرض العابد حال الاعتراف بالضّعف منذ الأزل والقدم لمعبوده؛ فضلًا عن مشهد من لواحقه هو الاعتراف أنَّ خلقه لم يكن صعبًا عليه، بل بطريقة سهلة ويسيرة، وذاته يجرّ إلى خلق حالة أُخرى من التّذلّل والانصهار في بوتقة الضّعف الأزليّ؛ وهنا تتأطّر لوحة مشهد العبوديّة للصّانع الأوّل والمُوجِد لبَدء أصل الخِلْقة، لذلك وظّف مجيء الأصلاب والأرحام حتّى يأخذَ بيد القارئ إلى عالم خارج حدود الزّمان والمكان القوليّين، إلى مكان لم يستطع تحديده إلّا أصدق الكلم، القرآن الكريم ومن حمله؛ فوظّف قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[٢٤] حتّى أوجده من العدم والنّسيان إلى الوجود بوسائلَ بسيطة للتّدليل على ذلّتِه أمام خالقه، فيقول عزّ اسمه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾[٢٥] فليس المشهد حديثًا، وإنَّما مشهد العبوديّة قديمًا بقدم الخليقة؛ فنصّ الإمام الحسين (عليه السلام) عندما وظّف الآيات القرآنيّة جاءت مقصودة لـ((تحقيق العمليّة الأدبيّة للتّواصل النّاجح بين المبدع و القارئ))[٢٦] الّذي ينشد من سماع التّوظيف القرآنيّ ولكن بطريقة النّظم السّرديّ لكي يتخلّفَ عليه البناء القرآنيّ والبشريّ، ومن هنا فإنّ أركان المشهد للعبوديّة في النّصّ التزم المراحل القرآنيّة، بَدءًا من الأزل وصولًا إلى الحضور وعالم الشّهود بقوله (عليه السلام): ((لَمْ تُخْرِجْنِي لِرَأْفَتِكَ بِي، وَ لُطْفِكَ لِي، وَإِحْسَانِكَ إِلَيَّ، فِي دَوْلَةِ أَيَّامِ الْكَفَرَةِ، الَّذِينَ

نَقَضُوا عَهْدَكَ، وَكَذَّبُوا رُسُلَكَ، لَكِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي رَأْفَةً مِنْكَ، وَتَحَنُّنًا عَلَيَّ)) فقد بُنى مشهد الخضوع على أركان النّعم السّابغة القديمة، الّتي لم يرَها الإنسان بعينه أيضًا، ولم يلمسها بيده، ولم يتدخّل في تدبيرها، وإنّما هي من المغيّبات عليه، فلا خروجه في المكان والزّمان بيده، ولا تحت تصرّفه، بل هناك قُوًى يخضع لها في تحديد مصيره؛ فإنْ ألتقِه في الحسنى فلها الشّكر والثّناء؛ لذا أنشأ رسالة بعث بها إلى صاحب العبوديّة، أنَّي مسلِّم أمري لك بالنّعم الّتي لم أرَها بعيني، حتّى يضمنَ الدّخول إلى ساحة أهل العبوديّة.

ومن الجدير بالذّكر أنَّ التّوظيف القرآنيّ لإنتاج مشاهد العبوديّة الممزوجة بخيوط التّذلّل لله عزّ اسمه ورد في بداية النّصّ؛ لكي يبدأ بالاعتراف بالنّعم الّتي لم يلمسها، ولم يمسك فوائدها بيده في عالم الإمكان والشّهود؛ فهي الأجدر في حسن الابتداء، وتكوين مشاهد مكتملة للمشهد الّذي يريد أنْ يرسمَه، بأنَّ الرّبوبية لم يؤسّس لها في عالم الدّنيا، بل يأخذ بأيدينا إلى بداية عوالم الذّرّ في بَدء الخليقة.

((حَتَّى إِذَا أَتْمَمْتَ عَلَيَّ جَمِيعَ النّعَمِ، وَصَرَفْتَ عَنِّي كُلَّ النّقَمِ، لَمْ يَمْنَعْكَ جَهْلِي وَجُرْأَتِي عَلَيْكَ، أَنْ دَلَلْتَنِي عَلَى مَا يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ، وَ وَفَّقْتَنِي لِمَا يُزْلِفُنِي لَدَيْكَ، فَإِنْ دَعَوْتُكَ أَجَبْتَنِي، وَ إِنْ سَأَلْتُكَ أَعْطَيْتَنِي، وَ إِنْ أَطَعْتُكَ شَكَرْتَنِي، وَ إِنِ شَكَرْتَنِي زِدْتَنِي، كُلُّ ذَلِكَ إِكْمَالًا لِأَنْعُمِكَ عَلَيَّ وَ إِحْسَانًا إِلَيَّ))[٢٧] في هذه المقطوعة

السّرديّة من النّصّ يلجأ المنشئ إلى نوع آخر من صناعة المشهد العبوديّ، ويجمع بين العابد والمعبود بمعادلة رياضيّة محكمة، ناتجها لوحات من العبوديّة لله تعالى؛ فالمشهد قد بناه المنشئ على التّذكّر وعمليّة الاسترجاع؛ فالذّكريات الّتي لو جمعنا أطرافها وشتاتها من (النّعم القديمة، ودفع البلاء والسّوء، مبادلة الإحسان بالإساءة) كلّ ذلك ينتج قضيّة عقليّة واجبة التّنفيذ، أنَّ المقابل لا يعرف مستوى النّعم فيحتاج إلى التّأديب، إلّا أنَّ القانون الإلهيّ في نصّ الإمام الحسين (عليه السلام) إذ يباغت القارئ بمعنًى قرآنيّ جليل، وقانون كتبه الله تعالى على نفسه، فيقول: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢٨] وقانون القرب الإلهيّ من عبادة؛ فالجدليّة الّتي خلص إليها الباحث في المقاربة بين السّرديّة القرآنيّة والسّرديّة النّصّيّة للإمام الحسين (عليه السلام): أنّ التّوظيف جعل القارئ يعيش في عالم ملكوتيّ، كالمسرح الّذي فيه قوّة عليا، فلو تأمّلنا الآيات القرآنيّة الكريمة نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٢٩]، وفي نصٍّ آخرَ ((ونحن أقرب إليه من حبل الوريد))[٣٠]، ولعلّ إنتاج المشهد جاء من طريق الثّنائيات المتوافقة والمتصاعدة؛ وهذه الثنائيات بدورها تفتح المخيال العقلي للقارئ؛ لكي يعيش في جوٍّ مشحون بالتوافقات والمتضادّات نحو:

أَتْمَمْتَ ×× صَرَفْتَ

عَلَيَّ ×× عَنِّي

النّعَمِ ×× النّقَمِ

لَمْ يَمْنَعْكَ جَهْلِي وَجُرْأَتِي عَلَيْكَ ×× أَنْ دَلَلْتَنِي عَلَى مَا يُقَرِّبُنِي إِلَيْكَ

ثمّ جاء دور المتوافقات باستعمال الشّرط الّذي يتحقّق جواب الشّرط إذا تحقّق فعل الشّرط؛ فـ((تعليقُ حصولِ مضمونِ جملةٍ هي جملةُ جوابِ الشّرطِ بحصولِ مضمونِ جملةٍ أخرى هي جملةُ الشّرط))، [٣١] فنجد المشهد العبوديّ المتّسم بجلب المتوافقات الشّرطيّة؛ نحو: (فَإِنْ دَعَوْتُكَ أَجَبْتَنِي) تحقيق لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾، [٣٢] ثمّ يلحقها معنًى متوافق معها؛ نحو: (وَ إِنْ سَأَلْتُكَ أَعْطَيْتَنِي) مستلّ من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٣٣] ثمّ يورد معنى آخر بطريقة الشّكر؛ فيقول: (وَإِنْ أَطَعْتُكَ شَكَرْتَنِي) وهي مستلّة من قوله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾؛ [٣٤] فالمعاني القرآنيّة حُوِّلت إلى مداخلَ لتوطيد المشهد العبوديّ في قلوب القائل والمتلقّي وعقولهما؛ إذ مكّنت المشهد أنْ يتّصفَ بحالة من المونولوج الدّاخليّ والخارجيّ: ((وفي الحوار الدّاخليّ يكون الصّوتان لشخص واحد؛ أحدهما هو صوته الخارجيّ العامّ والآخر صوته الدّاخليّ الخاصّ الّذي لا يسمعه أحد غيره؛ ولكنّه يظهر إلى

نسيج النّصّ من حين إلى آخر، وهذا الصّوت الدّاخليّ يظهر كلّ الهواجس والأفكار المقابلة لها يدور في ظاهر الشّعور أو التّفكير، فيضيف بُعدًا جديدًا يمثّل في لفت المتلقّي صوت آخر مقابل يغويه بما يقول أو يعمق شعوره بالفكرة الظّاهرة ويقنعه به))[٣٥] أي: الحديث بين شخصيّتين؛ فلولا هذه التّقنية لم يبرز لدينا المشهد وكأنَّه ناطق بمعاني الخضوع لله تعالى، ولا سيّما موضع إظهار الضّعف، ومظهر التّقصير أمام البارئ عزّ اسمه.

المبحث الثّاني: الأدوات السّيميائيّة لإنتاج المشهد العبوديّ.

تُعَدّ الدّراسات السّيميائيّة من الدّراسات الفاحصة والكاشفة عن مراد المنشئ عن النّصّ؛ لأنَّها تنظر إليه مجموعة من العلامات الدّالّة على أشياءَ معيّنيةٍ ومحدّدة،[٣٦] ولا يريد الباحث الإطالة في دراستها الّتي شبعت تحليلًا وتطبيقًا، ولكن يكتفي بذكر أبرز تعريفاتها الّتي حصل شبه إجماع على دلالته من منظّريها، فالسّيميائية هي((علم موضوعه وأداته العلامة))[٣٧].

فلا يمكن أنْ نستبعدَ توظيف أيِّ منشئ للطّاقات العلاماتيّة والإشاريّة المُودَعة في المفردة القرآنيّة، الموظّفة بطرق مباشرة او غير مباشرة على أنّها وسيلة إفهاميّة لقائلها، ويحاول وضع كلّ علامة؛ لتحكيَ قصّة بعينها؛ لأنَّ ((التّعبير القرآنيّ تعبير فنّيّ مقصود، كلّ لفظة بل كلّ حرف فيه وضع وضعًا فنّيًّا مقصودًا))[٣٨] وما دام النّصّ المدروس يشير إلى أنّ منشئه عمد إلى خلق

نمطيّة تسرد لسامعه المشاهد الخاصّة بعبوديّة الإنسان تُجاه خالقه؛ أيْ: بروز العبوديّة المطلقة لله تعالى المستندة إلى الطّاقات التّعبيريّة في العلامات السّيميائيّة الموحية، دون تدخّل الفنّ القوليّ وأساليبه.

حتّى أضحت المناجاة تُعرَض في سيميائيّات ضمّها النّصّ، وما جرّ الباحث على الاعتقاد ما عاشه في أثناء قراءته لنصّ الدّعاء الّذي يسرد فيه مواضع ذكر ضعف الإنسان، وحال تمسكنه، وقلّة حيلته، وهذا الجوّ خُلِقَ بوسائل العلامات الّتي استدعت حضور طرفين: الأنا المتصاغر أمام العظمة والهيمنة الإلهيّة؛ إذ قلب ظهر المِجنّ على الهيأة المعتادة في التّعابير للمناجاة، ونسل من مبدأ آخر هو اتّخاذ البَدء بالمعبود والختام به، على أنّه علامة دالّة على محق الأنا، حتّى لو بصيغة الضّعف والهوان؛ لأنّه يرى القبح عندما يذكر ذاته أمام الذّات الإلهيّة، ولا سيّما في البَدء؛ فالتّصاغر والعبوديّة ركنا المناجاة، أُنتِجَا بعلامة البَدء بالمعبود الّذي لا يصلح التّطرّق إلى أيّ ذات معه، فانطلق النّصّ بقوله (عليه السلام): ((الْحَمْدُ لله الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ، وَ لَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ، وَلَا كَصُنْعِهِ صُنْعُ)) [٣٩]، ثمّ يقول: ((وَ أَشْهَدُ بِالرّبُوبِيَّةِ لَكَ، مُقِرًّا بِأَنَّكَ رَبِّي، وَأَنَّ إِلَيْكَ مَرَدِّي)) [٤٠] وبقي ذكر الله تعالى مسيطرًا في الابتداء فيقول: ((فَسُبْحَانَكَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُبْدِئٍ مُعِيدٍ حَمِيدٍ مَجِيدٍ، وَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، وَعَظُمَتْ آلَاؤُكَ، فَأَيُّ أَنْعُمِكَ يَا إِلَهِي أُحْصِي عَدَدًا أَوْ ذِكْرًا، أَمْ أَيُّ عَطَائِكَ أَقُومُ بِهَا شُكْرًا، وَهِيَ

يَا رَبِّ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيَهَا الْعَادُّونَ، أَوْ يَبْلُغَ عِلْمًا بِهَا الْحَافِظُونَ، ثُمَّ مَا صَرَفْتَ وَ دَرَأْتَ عَنِّي اللَّهُمَّ مِنَ الضُّرِّ وَ الضَّرَّاءِ، أَكْثَرُ مِمَّا ظَهَرَ لِي مِنَ الْعَافِيَةِ وَالسَّرَّاءِ))[41]، وبعدها يقول: ((يَا مَوْلَايَ فَلَكَ الْحُجَّةُ وَالسَّبِيلُ عَلَيَّ، يَا مَنْ سَتَرَنِي مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ أَنْ يَزْجُرُونِي، وَ مِنَ الْعَشَائِرِ وَ الْإِخْوَانِ أَنْ يُعَيِّرُونِي، وَمِنَ السَّلَاطِينِ أَنْ يُعَاقِبُونِي، وَلَوِ اطَّلَعُوا يَا مَوْلَايَ عَلَى مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّي إِذًا مَا أَنْظَرُونِي وَلَرَفَضُونِي وَقَطَعُونِي))[42]، ثمّ ختم الدّعاء بـ ((وَأَنْتَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُكَ تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ فَمَا جَهِلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الَّذِي تَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَرَأَيْتُكَ ظَاهِرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ يَا مَنِ اسْتَوى بِرَحْمَانِيَّتِهِ فَصَارَ الْعَرْشُ غَيْبًا فِي ذَاتِهِ مَحَقَّتَ الآثارَ بِالْآثَارِ وَمَحَوْتَ الأَغْيارَ بِمُحيطاتِ أَفْلاكِ الأَنْوَارِ يَا مَنِ احْتَجَبَ فِي سُرَادِقَاتِ عَرْشِهِ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصارُ يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَةُ الاسْتِوَاءِ كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الْحَاضِرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَالْحَمْدُ لله وَحْدَهُ))[43]؛ ففي البَدء والختام، وما بينهما نلحظ سيطرة كاملة للحضور الإلهيّ المعتمد على التّوظيف القرآنيّ، وهو في غايته علامة تأخذ القارئ إلى المتبنّيات الأساسيّة في هذا النّصّ، وهو إنتاج مِساحات العبوديّة لله تعالى، ورُبَّ سائل يقول: إنَّ النّصّ احتوى على ذكر المتكلّم، فنقول: الأنا الواردة سيقت في ضمن سرديّات المقاطع غايتها تخدم المعبود أيضًا، ولا تقف قباله، بتحدٍّ أو علوّ، فجِيء بها

لبيان ضعفها، ووضعها في قاموس النّكران تُجاهه جلّ اسمه، نحو قوله (عليه السلام): ((أَنَا الَّذِي وَعَدْتُ، أَنَا الَّذِي أَخْلَفْتُ، أَنَا الَّذِي نَكَثْتُ، أَنَا الَّذِي أَقْرَرْتُ. أنا الّذي اعترفت بِنِعْمَتِكَ عِلَيَّ وعنْدِي، وَأَبُوءُ بِذُنُوبِي فَاغْفِرها لِي، يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ ذُنُوبُ عِبَادِهِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ طَاعَتِهِمْ)). [٤٤]

ولا بدّ من الإشارة إلى ورود العلامات السّيميائيّة في النّصّ المدروس ذات الارتباط الوثيق في خلق المشهد العبوديّ؛ لكنّه غير مرتبط بالتّوظيف القرآنيّ ((فإنّ اللّغة ليست جملًا مفردة بل هي مواقف ومواطن وقد تصلح جملة في موطن ولا تصلح في موطن آخر))[٤٥] إلّا أنَّه يأخذ بيد القارئ والسّامع الى منطقة تخترق عالم القول الحضور، فتعمل دلالة الشّفرة العلاماتيّة نقلة تحمله إلى ذلك المشهد الّذي خلقه المبدع من العلامات السّيميائيّة، الّتي تتكفّل بإنتاج عالم مشخّص المعالم عند المنشئ، بتقنيّة لغة الجسد المعبرة عن معانٍ ذات أدوار مهمّة في تمكين الأداء السّيميائيّ؛ فيقول (عليه السلام): ((فَلَكَ الْحَمْدُ إِلَهِي، أَمَرْتَنِي فَعَصَيْتُكَ، وَنَهَيْتَنِي فَارْتَكَبْتُ نَهْيَكَ، فَأَصْبَحْتُ لَا ذَا بَرَاءَةٍ فَأَعْتَذِرَ، وَلَا ذَا قُوَّةٍ فَأَنْتَصِر، فَبِأَيِّ شَيْءٍ أَسْتَقْبِلُكَ يَا مَوْلَايَ، أَبِسَمْعِي أَمْ بِبَصَرِي أَمْ بِلِسَانِي أَمْ بِرِجْلِي، أَلَيْسَ كُلُّهَا نِعَمَكَ عِنْدِي، وَبِكُلِّهَا عَصَيْتُكَ))[٤٦]؛ فالإمام يطرح أمام ربِّه أدوات الحواسّ (السّمع والبصر واللّسان)؛ وهي وسائلُ معهودةٌ يوميّة، لها تأثير بحركة الإنسان، وهذه التموّجات من السّمع إلى البصر إلى التّكلّم،

كلّها غدت علامات موجّهة نحو إيحائيّة معيّنة ومقصودة، فالنّظر علامة لإدراك العالم الخارجيّ ومشاهدته، والسّمع علامة للفهم والمعرفة، واللّسان علامة النّطق الّذي يمتاز به عن البهائم؛ فهذه العلامات الثلاثة تحكي قصّة المنعم المطلق على عبده، وتنتج العلامات الثالثة مسرحًا للسّامع لكي يتأمّلَ، إذا ما قارن نفسه بمن حُرم منها، وهذه المقارنة بين وجود العلامات ودونها لنقل إدراك الإنسان إلى نمطيّة الاعتراف بفقره وحاجته إلى النّعم عليه من المنعم؛ وهذه العلامات عُدّت وسائل للانفتاح على معاني العبودية للمنعم وأسبابها؛ فالعبوديّة واجبة لله لما أنعم وبما أعطى، فضلًا عن عدم سلبها منّا.

ومن العلامة السّيميائيّة الكلّيّة في النّصّ، الّتي تشكّل الخطّ العامّ للعلامة، المنحصرة في قلّة حضور الإنشاء الطّلبيّ من الأمر والنّهي، وتزايد نسبة النّداء؛ وهذان الأمران ينسحبان بوصفهما علامة مهمّة يبعث بها القائل؛ مفادها: لا حقّ له في الطّلب وإنْ كان وروده أمرًا جائزًا، إلّا أنَّه عيب في حضرة المليك الأعلى، ولا سيّما الطّلب في صيغة الأمر أو النّهي.

ورعاية للاختصار، سنعمد إلى دراسة السّيميائيّات اللّغويّة في النّداء؛ لأنَّ الدّعاء أو المناجاة مرتكز عليه، ومستندة إليه؛ لذا سوف يفتّش الباحث عنها لما تؤدّيه من أدوار في الإيضاح، والإضاءة على الدّلالات ذات البُعد المناجاتيّ.

فالغاية انصبّت على النّداء وسميائيّاته رعاية للتّركيز فيه؛ فقد قلّ حضور

الأمر والنّهي والاستفهام في قبال النّداء، الذي أخذ الحيز الأعظم في نصّ الدّعاء؛ ولعلّ ذلك يعود إلى إظهار حال الفقر من العبد هو واقف في حضرة ربّه، ويعطي علامة بارزة على حيائه من الطّلب بلسانه؛ فهذه العلامة تشير إلى حال التقديس لله عزَّ وجلّ، والسّماح بالنّداء فحسب، لِما يبعثه من حال العوز والاحتياج، وفي الوقت نفسه علامة دالة بكراهية الطّلب بالنّهي أو بالأمر أو بالنّفي -على الرّغم من كونها أدوات طلب- حتّى على فرض مجازية الاستعمال، إلّا أنَّها أدوات لا يجوز جريانها في حضرته، ورُبَّ معترض ويقول: ورد توظيف القرآن الكريم لأدوات الأمر والنّهي مع الذات المقدّسة، وهو خير دليل على سريانه، نقول: إنّ ذلك من قوله جلّ اسمه، الّذي أباحه لعباده، فهو من سمح به، فيبدو أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) أوغل في النّداء وغلّبه على سائر شقيقاته في الطّلب، حتّى ترك المسموح به استحياء من مقام الضّعيف كيف يأمر القويّ المتعال، فيثـير قيمة الحياء في أثناء الخطاب القوليّ على أنّه نصيحة لكلّ العابدين، عندما يجلسون لمخاطبة الله تعالى في أدعيتهم؛ إذ يقول: ((وَأَشْهَدُ بِالرّبُوبِيَّةِ لَكَ، مُقِرًّا بِأَنَّكَ رَبِّي))[٤٧]، أيْ: أشهد يا ربّ، وقد يرد الأمر مفتاحًا للنّداء الّذي يحمل سمة العطف، نحو الفعل اجعل في قوله: ((وَاجْعَلْ لِي يَا إِلَهِي الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا فِي الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى))[٤٨] ويتكرّر فعل الجعليّة مرّة أخرى بقوله (عليه السلام): ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا خَلَقْتَنِي فَجَعَلْتَنِي سَمِيعًا

بَصِيرًا))[٤٩] بصيغة الأمر، لكنه مسبوق بالنّداء على أنّه علامة على أنّ الأمر من مقام الضّعف ....الّذي أفقده قوّته الأسلوبيّة، وألغى طغيان صفة العلوّ منه، فهو استعمال خاصّ في سياق خاصّ؛ إذ لم يفارق فعل الأمر النّداء، وهذا الاقتران علامة سيميائيّة على ضبط سياقه في عمليّة الخطاب بين العبد والمعبود.

والأمر ذاته بقوله (عليه السلام): ((إلهي! فَلَا تُحْلِلْ عليَّ غَضَبَكَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ غَضِبْتَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي سِوَاكَ، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، فَأَسْأَلُكَ يا ربّ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ، وَكشفت بِهِ الظُّلُمَاتُ، وَصَلحَ به أَمْرُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، أَنْ لَا تُمِيتَنِي عَلَى غَضَبِكَ، وَلَا تُنْزِلَ بِي سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى قَبْلَ ذَلِكَ))[٥٠]، فصيغة (لا تحلل) و(أسالك) (لا تميتني) و(لا تنزل) سوف تجد السّياق في طلب النّهي بَدءًا وختامًا سحب الطّاقات الإيحائيّة أبقاها تقاليد لغويّة حتّى يمكن القول لا تصلح إلى الدّعاء فبدأ إلهي مع حذف **حرف النّداء** ليبيّن حال القرب منه والاندماج بحيث لم يحتج إلى حرف النّداء، وهو توظيف يقترب من خطاب الله تعالى؛ ومن ذلك قوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِّ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاء وَجَعَلَكُم مُلُوكًا واتاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ))[٥١]، فورد حرف النّداء والمنادى، على حين حذف حرف النّداء في قوله تعالى ((وإذ قال مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله تعالِي عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ ءَال فرعون يَسُومُونَكُمْ

سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أبناءكم ويستحيون نساءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مَن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ))[٥٢]والفارق بينهما أداء مقصود من المنشئ ليدلّل على أمر معيّن[٥٣].

وحقيق بنا أنْ نتساءلَ هل يعدّ ما سيق في دعاء يوم عرفة من إخبارات تصلح علامات سيميائيّة لرحمات الله تعالى ولم يأتِ يوم الحساب؟ وهل تعدّ النّعم من أدلّة المنعم علينا؟ علمًا أنّ الإنسان لم يشهدها في تكليفه؟ ولعلّ استدعاء الإمام(عليه السلام) للمعاني القرآنيّة على أنّها علامات تبلغ الإجابة عن التّساؤلات؛ فالأخبار حولها لما تقع رؤيته من المقطع النّصّيّ في الدعاء، نحو استدعاءات تحمل علامة تلبّي الغرض الإخباريّ، الواردة مع الفعل الماضي نحو قوله(عليه السلام): ((يَا مَنْ عَفَى[٥٤] عَنِ الْعَظِيمِ مِنَ الذُّنُوبِ بِحِلْمِهِ، يَا مَنْ أَسْبَغَ النِّعْمَةَ بِفَضْلِهِ، يَا مَنْ أَعْطَى الْجَزِيلَ بِكَرَمِهِ، يَا عُدَّتِي فِي كُرْبَتِي، يَا مُونِسِي فِي حُفْرَتِي، يَا وَلِيَّ نِعْمَتِي، يَا إِلَهِي وَإِلَهَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَرَبَّ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، وَرَبَّ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَآلِهِ الْمُنْتَجَبِينَ))[٥٥]؛ إذ وظّف عددًا من الآيات لكلّ مقطع نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[٥٦] وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥٧] وقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥٨]؛ فالعفو

عن العظيم ساقه بدلالاته السّيميائيّة، أنّ رحمة ربّه العظيم لن تقف على صغائر الأمور مع العبد، بل العظيم سوف يتجاوز عنها؛ ليشيرَ بإصبعه إلى عظمة ربّه، ويرسمها لوحة تـتـّشح برحمانيّة خالقه، الّذي سيقف بين يديه؛ لذلك أشار بالفعل الماضي حتّى يرسخ علامة قِدم الرّحمانية، فالعفو سمة متأصّلة منذ القدم والأزل، ولم تكن طارئة وجديدة عليه، وبقاء حضور الجمل الفعليّة مسيطرة على المنادى، إشارات وعلامات لبقاء القديم إلى وقت قول النّصّ وجريانه وسريانه.

بيد أنّ الخطاب تحوّل إلى الجمل الاسميّة مع المنادى لدلالة على الثّبات، عندما توجّه إلى صفات بارئه وخالقه، وهذا التّنوّع في المنادى علامة على تغيير حاصل؛ فالعفو والإسباغ بالنّعم ورد مع الفعليّة لاحتماليّة انقطاعه، ويصيبه التّبدّل، إلّا أنّ الأنُـس به موجود في كلّ مكان وزمان، وهو توظيف من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥٩] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٦٠]، وكذا الأمر مع سائر المعاني.

ومن العلامات السّيميائية حذف حرف النّداء، ويتحوّل النّداء إلى الخطاب المباشر؛ نحو قوله (عليه السلام): ((أَنَا الَّذِي أَخْطَأْتُ، أَنَا الَّذِي أَغْفَلْتُ، أَنَا الَّذِي جَهِلْتُ، أَنَا الَّذِي هَمَمْتُ، أَنَا الَّذِي سَهَوْتُ، أَنَا الَّذِي اعْتَمَدْتُ، أَنَا

الَّذِي تَعَمَّدْتُ، أَنَا الَّذِي وَعَدْتُ، أَنَا الَّذِي أَخْلَفْتُ، أَنَا الَّذِي نَكَثْتُ، أَنَا الَّذِي أَقْرَرْتُ))[٦١] فيرى الباحث أنّ الإمام (عليه السلام) لم يحتج إلى ذكر حرف النّداء، حتّى يبيّنَ للقارئ أو السّامع علامة المباشرة بين الطّرفين، الحاملة لفكرة القرب بينهما؛ فأضحت العلامة تقوم مقام الدلالة عن صفة التكليم المباشر بين الطّرفين، الذي لايوجد أيّ فاصل بينهما، ولعلّ التكليم المباشر من دون النّداء علامة وظّفها من التكليم المباشر بين نبيّ الله موسى (عليه السلام) وربّه في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾،[٦٢] وهذا يدلّنا إلى توظيف قصص المناجاة القرآنيّة التي وردت على سبيل الخطاب المباشر ولا تخلو من العلامات السّيميائية، نحو مناجاة النّبيّ أيوب، فيرويها الله تعالى بقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٦٣] ومناجاة نبيّ الله زكريا (عليه السلام) إذ يرويها الله تعالى بقوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[٦٤]، فالخطابان يضمّان مناجاة المنقطع إلى ربّه، فلم يستعمل حرف النّداء للدلالة على حال الانقطاع الشّديد والقرب من الله تعالى، ما استوجب غياب حرف النّداء، وهذه الظّاهرة لم تغب عن منشئ نصّ الدّعاء – الإمام الحسين (عليه السلام)– ممّا دعاه إلى تحويلها علامات تحكي قصّة توسّم العبد القرب من ربّه؛ فالمنشئ هنا مارس فعلين عند إنتاج السّيميائيّة: دور القائل والسّامع في آن واحد، حتّى تبرزَ قيمة العلامات المودَعة، بوصفه

منتجًا لها، وكذلك يسعى إلى الدّخول في دائرة العبوديّة وأهل القرب من الله تعالى الّتي رسمها بأدائه اللّغويّ، وهذه السّاحة الرّبّانيّة الّتي لا يدخلها إلّا العبيد لله تعالى، الّتي تستوجب إظهار الضّعف والمسكنة له، والاحتياج المطلق لقدرته جلّ اسمه.

الخاتمة:

بعد رحلة أجراها الباحث مع النّصّ المرويّ عن الإمام الحسين (عليه السلام) الّذي أسماها الرّواة (دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة) وبأدوات نصّيّة من أجل تفكيكه وتحليله؛ فقد توصّل البحث إلى نتائجَ؛ أبرزها:

١- جرت تسمية النّصّ المدروس بـ(دعاء الإمام يوم عرفة)، التي لم ترد منه (عليه السلام)، بل من صنع العلماء والرّواة، الذين لم يفرّقوا بين الدّعاء والمناجاة والتّضرّع؛ اذ لم يكن النّصّ خالصًا للدعاء فحسب، وإنما حملت فقراته المناجاة والتضرّع، ولعلّ التسمية وردت لتغليب الدعاء على غيره.

٢- عاش في مجتمع استقبل عودة الثقافات الجاهلية بحمولاتها الفكرية المتباينة مع الإسلام، فأضحى النّصّ ردًّا قاسيًا لكلّ ما يخالف متبنّياته، بالدّعوة إلى عبودية الله جلّ اسمه، بحيث ظهر نمط تعبيريّ يشكِّل الواجهة العظمى للنّصّ المتّجه نحو بناء مسرح كامل للمشاهد العبوديّة بين الطّرفين (العبد ومعبوده)، وهي من نتاج الأثر الواقعيّ الّذي أفرز النّصّ وإنتاجه، الميّال إلى إذكاء المعاصي قبال روح العبوديّة.

٣- امتلأت البيئة المعرفيّة للنّصّ المدروس بمضامين الدعاء والمناجاة والتضرّع، المنسوجة على شكل لوحات ومشاهد لعبودية العابد تُجاه معبوده؛ اذ يقف القارئ أو السّامع أزاءها؛ كي يعيشَ عالمها وتكوينها

الفكريّ والمعرفيّ، المستلّ من أصدق القول القرآن الكريم، وهذه المضامين القرآنيّة الموظّفة وردت بطريقتين؛ الأولى: التّوظيف المباشر الّذي يلمحه المتلقّي مباشرة من دون عناء، وللمنشئ مسوّغات أشار إليها البحث، والثّانية غير المباشر: الّتي يلمحها المتلقي بالرّبط والجمع بين المضامين الّتي سِيقت بالنّصّ، الّتي تبيّن غلبتها على الأولى.

٤- أكّد البحثُ حضورَ العلامة السّيميائيّة المعبّرة والموحية، فلم تكن الألفاظ والتّراكيب والأساليب بعيد عن الإشعاع السّيميائيّ، فحركتها ذات أداء معبّر للقصص والحكايات التي استثمرها خالق النّصّ ومبدعه علامات موحية لمرادٍ معين ومخصوص حتّى غدت بعض العلامات الإشاريّة الدّالّة وسيلة للاختصار القوليّ وعدم بسطه عند السّامع.

٥- وصل البحث إلى غلبة النّداء على سائر الأساليب الطّلبيّة، إذا ما قارنّاه مع أسلوبَي الأمر والنّهي، بل انتهج المنشئ للنّصّ طريقة يسوق بها أسلوبي الأمر أو النّهي؛ إذ يعدم حضورهما إلّا في ضمن سرديّات النّداء الطّاغية، وذاته يبرز لنا السّياسة العامّة للنّصّ المبنيّة على الخضوع والتذلّل لله جلّ وعلا، الّذي ينافي الأمر والنّهي، حتّى لو اُستعمِلَ بطريقة مجازيّة.

الهوامش :

١- معرفة الصّحابة/ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) / تحـ، عادل بن يوسف العزازي/ دار الوطن للنّشر/ الرّياض/ ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م: ٣/ ١٢٦٢.

٢- عقائد الإماميّة/ محمّد رضا المظفّر/ مركز العقائد/ ط٢، ١٤٢٤هـ: ٧٥.

٣- ظ/ العصمة بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني/ السّيد كمال الحيدري / بقلم، محمد العارضي/ مطبعة ستارة / إيران / ط١، ١٩٩٧م: ١٨٠ وما بعدها.

٤- اتفقت أغلب المصنّفات اللّغوية والاصطلاحية أنّ الأسّ الذي يبنى عليه الدعاء هو الطّلب، فلا دعاء من دون ركيزة الطّلب سواء الطّلب على المستوى الشّخصي أو الجماعة، ظ/ التكرار والتناص في دعاء النّدبة - دراسة دلالية/ أ.م.د. خليل خلف بشير/ مجلة القادسية للعلوم الإنسانية/ تصدر عن كلية الآداب - جامعة القادسية/ المجلد ٢٢ - العدد ٢/ نيسان - حزيران ٢٠١٩: ٤٣٣.

٥- تتبع الباحث نص الدعاء فوجده ينتمي إلى المناجاة أو التنزيه أو إنشاء جوّ روحيّ لخلق مساحات من التذلل، ولم يلحظ في نصه ترسيخ سياسة الدعاء وما يضمّه من طلب.

٦- نحو قوله تعالى: ((ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة))، سورة البقرة: آية٢٠١، وقوله تعالى:﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، سورة البقرة: اية ٢٨٦.

٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)/ دار الكتاب العربي – بيروت/ ط٣، ١٤٠٧هـ: - ٢ / ٨٣.

٨- إتحاف السّادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين/ محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشّهير بمرتضى/ مؤسّسة التاريخ العربي/ بيروت – لبنان/ ط١٩٩٤،١م: ٥ / ٢٧ – ٢٨.

٩- ظ/ تيار الوعي في الرّواية الحديثة، دراسات أسلوبية / محمد غنايم/ دار الجيل، دار الهدى/ ط ١٩٩٣،٢م: ١٤.

١٠- ظ/ تاريخ الأدب العربي/ أحمد من الزين/ دار الثقافة/ مصر/ ط٢٩، ١٩٨٥م: ١٢٢ وما بعدها.

١١- مال الباحث إلى إطلاق تسمية التوظيف بدلًا من التناصّ لإيمانه الكامل بأن أغلب التناصّات التي تُذكَر ما هي إلا اقتباسات أو تضمينات أو إشارات لتأكيد المعاني، والتناصّ أمر آخر يراد به النّص الغائب الذي تم محقه وصهره في النّص الجديد؛ فالتناصّ ((يتطلّب قيام المبدع بإعادة إنتاج كاملة للأثر الأدبي السّابق، ولا يعني بحال من الأحوال نثر بعض الأقوال هنا وهناك أو رشق بعض الأسماء كيفما اتفق، وكأنّ النّصّ الأدبيّ ليس أكثر من ثوب باهت يمكن تزويقه ببعض الإكسسوارات المتداولة في بورصة الأقوال والأسماء)) ما الفرق بين التّناص والتوظيف؟/ غسان عبد الخالق / مجلة حفريات/ مقال على موقع شبكة الانترنيت / / / :https hafryat.com /ar /blog

١٢- هناك من يرى أن ((أحسن الشّعر أكذبه))، سّر الفصاحة/ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)/ دار الكتب العلمية/ ط١، ١٩٨٢م: ٩٣.

١٣- على سبيل المثال لا الحصر، ظ/ القرآنية في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عرفة/ م.م. سناء علي حسين الحمداني / كلية التربية - جامعة كربلاء/ أهل البيت، العدد التاسع فقد ورد في الدراسة فقرات نحو التناصّ والتعالق مع القرآن، ظ/ التناص القرآني في دعاء الإمام الحسين في يوم عرفة(بحث) / د. أعظم محمودي/ مجلة الكاية الإسلامية الجامعة/ العراق – النّجف الأشرف/ العدد٥٩/ الجزء ٢.

١٤- التناص في شعر الرّوّاد/ د.أحمد ناهم/ دار الآفاق العربية/ القاهرة : / ط ١، ٢٠٠٧م: ٢٥.

١٥- الاقتباس من القرآن الكريم في الشّعر العربي/ عبد الهادي الفكيكي / منشورات دار النّمير للنشر والتوزيع/ سورية – دمشق/ ط١ ١٩٩٦: ٧.

١٦- دراسات في الأدب المصريّ فى العصور الإسلامية / عوض على الغبارى/ الدار الدولية للاستثمارات الثقافية/ ٢٠٠٣م: ١٨١.

١٧- م.ن: ١٨١.

١٨- القرآنية في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في عرفة (بحث):٢٦٥.

١٩- الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (دراسة اسلوبية)/ كاظم عبد فريح المولي الموسوي/ ٢٠٠٦م:١١.

٢٠- أثر القرآن الكريم في خطبة الحوراء زينب في الكوفة/ وجدان صالح عباس / مجلة الكلية الإسلامية الجامعة/ الكلية الإسلامية الجامعة / النّجف الأشرف/ العدد الرّابع والعشرون – السّنة الثامنة – جمادى الآخرة ١٤٣٥ هـ – نيسان ٢٠١٤م: ٥٢٣.

٢١- التناص الديني في شعر البياتي/ أحمد طعمة حلبي/ آفاق المعرفة/ سوريا/ العدد ٥٢٥، لسنة ٢٠٠٧م: ٢٧٣-٢٦٥.

٢٢- إقبال الأعمال/ علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني (ت ٦٦٤ هـ)/ قدم له وعلق عليه: الشّيخ حسين الأعليمي/ منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات/ بيروت – لبنان/ ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م:٦٥٢.

٢٣- سورة المؤمنون: ١٢-١٤ .

٢٤- سورة الإنسان:١.

٢٥- سورة الطّارق: ٥، ٦.

٢٦- علم لغة النّصّ النّظرية والتطبيق/ عزّة شبل محمد/ تقديم، سليمان العطار/ مكتبة الآداب / القاهرة- مصر/ ط١، ٢٠٠٧: ٧٧.

٢٧- سورة الطّارق: ٥، ٦.

٢٨- سورة الأنعام: آية ٥٤.

٢٩- سورة البقرة: آية ١٨٦.

٣٠- سورة ق: آية ١٦.

٣١-المقتضب/ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)/ تحـ: محمد عبد الخالق عضيمة/ عالم الكتب / بيروت/ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، ٢:٤٥.

٣٢- سورة هود: آية٦١ .

٣٣- سورة البقرة: آية ١٨٦.

٣٤- سورة الزمر:آية ٧

٣٥- تيار الوعي في الرّواية الحديثة/ روبرت همفري/ تحـ: محمود الرّبيعي/ دار غريب للطباعة والنّشر والتوزيع/ القاهرة- مصر/ ٢٠٠٠ م: ٧٤-٧٥.

٣٦- ظ/ الاتجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي/ د. محمد فليح الجبوري/ دار الأمان/ الرّباط- المغرب/ ط١، ٢٠١٣م:٥٢.

٣٧- معجم مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر/ سعيد علوش/ مراجعة، د. كيان احمد حازم، د. حسن الطّالب / دار الكتاب المتحدة،ط١، ٢٠١٩م: ٥٦٥.

٣٨- التعبير القرآني/ د. فاضل صالح السّامرائي/ مكتبة رشيد الهجري/ العراق – بغداد/ ط١، ٢٠١٣م: ١٠-١١.

٣٩- إقبال الأعمال:٦٥٢.

٤٠- م.ن:٦٥٢.

٤١- م.ن:٦٥٣.

٤٢- م.ن:٦٥٧.

٤٣- م. ن: ٦٦٢.

٤٤- م. ن: ٦٥٦.

٤٥- التعبير القراني:٩٥ .

٤٦- اقبال الأعمال:٦٥٧ .

٤٧- م.ن: ٦٥٢.

٤٨- م.ن: ٦٥٣.

٤٩- م.ن: ٦٥٤.

٥٠- م.ن: ٦٥٥.

٥١- سورة المائدة: اية ٢٠.

٥٢- سورة إبراهيم: اية ٦.

٥٣- ظ/ التعبير القراني: ١٢٢.

٥٤- وردت في الطّبعة هكذا والصّحيح عفا، ولم ينتبه إليها المحقّق.

٥٥- إقبال الأعمال: ٦٥٥.

٥٦- سورة النّساء: آية ٤٨.

٥٧- سورة النّحل: آية ١٨.

٥٨- سورة البقرة: آية ٢٦١.

٥٩- سورة الحديد: آية ٤.

٦٠- سورة البقرة: آية ١٨٦.

٦١- إقبال الأعمال : ٦٥٦.

٦٢- سورة النّساء: ١٦٤.

٦٣- سورة الأنبياء: آية ٨٣.

٦٤- سورة آل عمران: آية ٣٨.

المصادر والمراجع:

*** القرآن الكريم**

١- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)/ المقتضب/ تحـ: محمد عبد الخالق عضيمة/ عالم الكتب / بيروت/ ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

٢- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري / الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ (ت ٥٣٨هـ)/ دار الكتاب العربي - بيروت/ ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣- أبو محمد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي سرّ الفصاحة/ (ت ٤٦٦هـ)/ دار الكتب العلمية/ ط١، ١٩٨٢م.

٤- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)/ معرفة الصّحابة/ تحـ، عادل بن يوسف العزازي/ دار الوطن للنشر/ الرّياض/ ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٥- أحمد بن الزين/ تأريخ الأدب العربي/ دار الثقافة/ مصر/ ط٢٩، ١٩٨٥م.

٦- أحمد طعمة حلبي/ التناصّ الدينيّ في شعر البياتي/ آفاق المعرفة/ سوريا/ العدد ٥٢٥، لسنة ٢٠٠٧م.

٧- السّيد كمال الحيدري / العصمة بحث تحليلي في ضوء المنهج القرآني/ بقلم، محمد العارضي/ مطبعة ستارة / إيران / ط١، ١٩٩٧م.

٨- د.أحمد ناهم/ التناص في شعر الرّواد/ دار الآفاق العربية/ القاهرة: / ط ١، ٢٠٠٧م.

٩- د. فاضل صالح السّامرائي/ التعبير القرآني/ مكتبة رشيد الهجري/ العراق - بغداد/ ط١، ٢٠١٣م.

١٠- د. محمد فليح الجبوري/ الاتّجاه السّيميائي في نقد السّرد العربي/ دار الأمان/ الرّباط- المغرب/ ط١، ٢٠١٣م.

١١- روبرت همفري/ تيار الوعي في الرّواية الحديثة/ تح: محمود الرّبيعي/ دار غريب للطباعة والنّشر والتوزيع/ القاهرة- مصر/ ٢٠٠٠ م.

١٢- سعيد علوش/ معجم مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر/ مراجعة، د. كيان احمد حازم، د. حسن الطّالب / دار الكتاب المتحدة،ط١، ٢٠١٩م.

١٣- سعيد علوش/ معجم مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر/ مراجعة، د. كيان احمد حازم، د. حسن الطّالب / دار الكتاب المتحدة،ط١، ٢٠١٩م.

١٤- عبد الهادي الفكيكي/ الاقتباس من القرآن الكريم في الشّعر العربي/ منشورات دار النّمير للنشر والتوزيع/ سورية - دمشق/ ط١ ١٩٩٦م.

١٥- عزة شبل محمد/ علم لغة النّص النّظرية والتطبيق/ تقديم، سليمان العطار/ مكتبة الآداب / القاهرة- مصر/ ط١، ٢٠٠٧م.

١٦- عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس الحسنيّ (ت ٦٦٤ هـ)/ إقبال الأعمال/ قدم له وعلق عليه: الشّيخ حسين الأعلمي/

منشورات مؤسّسة الأعلى للمطبوعات/ بيروت – لبنان/ ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م.

١٧- عوض على الغبارى/ دراسات في الأدب المصرى فى العصور الإسلامية / الدار الدولية للاستثمارات الثقافية/ ٢٠٠٣م.

١٨- غسان عبد الخالق/ ما الفرق بين التّناص والتوظيف؟/ مجلة حفريات/ مقال على موقع شبكة الانترنيت / https://hafryat. .comar/blog

١٩- محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي الشّهير بمرتضى/ إتحاف السّادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين/ مؤسّسة التّأريخ العربي/ بيروت – لبنان/ ط١،١٩٩٤م.

٢٠- محمد غنايم/ تيار الوعي في الرّواية الحديثة. دراسات أسلوبية / دار الجيل، دار الهدى/ ط ٢،١٩٩٣م.

٢١- محمّد رضا المظفر/ عقائد الإمامية/ مركز العقائد/ ط٢، ١٤٢٤هـ.

***المجلات والدوريات:**

١- أ.م.د. خليل خلف بشير/ التكرار والتناص في دعاء النّدبة – دراسة دلالية/ مجلة القادسية للعلوم الإنسانية/ تصدر عن كلية الآداب – جامعة القادسية/ المجلد ٢٢ – العدد ٢/ نيسان – حزيران ٢٠١٩م.

٢- د. أعظم محمودي/ التناص القرآني في دعاء الإمام الحسين في يوم عرفة (بحث) / مجلة الكاية الإسلامية الجامعة/ العراق - النّجف الأشرف/ العدد٩٥/ الجزء ٢.

٣- كاظم عبد فريح المولي الموسوي/ الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (دراسة أسلوبية)/ ٦٠٢٠م.

٤- م.م. سناء علي حسين الحمداني / القرآنية في دعاء الإمام الحسين(عليه السلام) في عرفة (بحث) / كلية التربية - جامعة كربلاء/ أهل البيت/ العدد التاسع.

٥- وجدان صالح عباس / أثر القرآن الكريم في خطبة الحوراء زينب في الكوفة/ مجلة الكلية الإسلامية الجامعة/ الكلية الإسلامية الجامعة/ النّجف الأشرف/ العدد الرّابع والعشرون - السّنة الثامنة - جمادى الآخره ٣٥٤١ هـ - نيسان ٢٠١٤م.

الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ عِنْدَ الْمُلَّا مُحْسِنِ بْنِ مُحَمَّد طَاهِرِ الْقُزْوِيْنِيِّ (ت ١١٥٠هـ) فِي تَفْسِيْرِهِ (نُوْرُ التَّوْفِيْقِ وَكَشْفُ التَّدْقِيْقِ)

م.م فاطمة علي حسن الشاوي
Asst.Lec. Fatima Ali Hassan Alshawi

أ. د اقبال وافي نجم
Prof. Dr. Iqbal Wafi Najm

العراق / جامعة كربلاء / كلّيّة العلوم الاسلاميّة / قسم الدراسات القرآنيّة والفقه
Iraq / University of Al-Muthanna / College of Basic Education
Department of Arabic Language

Prof. Dr. Iqbal Wafi Najm
fatima19711112@gmailcom

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research